الفصل الرابع

الغايات التمكينية المجتمعية

الفصل الثالث

الغايات التمكينية المجتمعية

ذكرنا أن الفرد يحقق غاية الحرية أو إنماء الفطرة ويحافظ عليها بجهد منه، فهو مسؤول عن ذلك بصفته فرداً، وأنه لابد وأن يحقق بنفسة غايات تمكنة من إنماء فطرته، وهى غايات تعلم تحصيل العلم، والحكمة، والتزكية، والعمل، وكسب الرزق ليؤدى بها وظيفته فى الحياة خليفة لله فى الأرض، وليدرأ عن نفسة ما يفسدها.

ذكرنا أيضا أن تحقيق الحرية المستنيرة للأفراد مسؤولية إجتماعية، فالمجتمع بقياداتة ومؤسساته مسؤول أيضا عن تحقيق هذه الحرية بإتاحتة الفرص لكل أفراده لكى يفكروا ويجربوا ويكتشفوا الحرية بأنفسهم، وباتاحة التعليم الصادق والتوجية، وضبط حركات أفراده فى منظومة عادلة العلاقات سليمة التواصل بلاقهر، ولاقسر، ولكى تتحقق هذه المسؤولية الاجتماعية لابد وأن يتكاتف أفراده معا لكى تكون بنية المنظومة المجتمعية مؤهلة أفرادها لتوفير الحرية العامة والخاصة .

أساس هذه البنية وضحه القرآن وبينتة السنة فى آيات عديدة ، وأحاديث كثيرة، تشرح الغايات المجتمعية التى تمكن أفراد المجتمع من تحقيق الحرية ، وهى أعمال مرتبة منظومة ، تقوم على استبصار للحرية المستنيرة فى ظل ظروف المجتمع الموضوعية، يبذل فيها الفرد مع الآخرين جهداً للحفاظ على بنية المجتمع فى أكثر الأوضاع تحقيقاً لنماء الفطرة ولأكبر قدر من المصالح للناس وأقل المفاسد.

الحفاظ على الفطرة وتنميتها يكون بأمرين، أحدهما مايقيم أركانها ويثبت قواعدها، والثانى مايدرأ عنها الاختلال الواقع أو المتوقع ، فكما أن تعليم الفرد العلم والحكمة غايات فردية تنمى الفطرة وتحفظ التوحيد ، وان العمل والتزكية يدرءان عنها

الاختلال ، فكذلك هناك غايات مجتمعية ينبغى أن تتحقق لتحفظ هذه الفطرة وتدعم التوحيد وتدرأ عنه الأختلال .

تحديد هذه الغايات التمكينية على مستوى المجتمع يتطلب منا أن نحدد معنى المجتمع الذى يرادفه فى القرآن لفظ الأمة غالبا، والذى سنستعملة من الآن فصاعداً بالتبادل مع لفظ المجتمع ، ثم نحدد بعد ذلك معنى المصلحة والمفسدة، ونوضح الميزان الذى تزن به الأمة الإسلامية الأعمال ، فتحكم على عمل ما أنه مصلحة، وعلى آخر أنه مفسدة .

" الأمة هى الشعب فى العبرية وآرامية العهد القديم، والسريانية" أمّتا " والأكدية " أمات " ، والكلمة الأكدية تدل أيضا على الجيش، وفى الأوجاترية " umt " أم ت " بمعنى عشيرة " [١] .

الأمة تعنى الجماعة من بنى البشر، ولاتكون الجماعة مطلقا، وإنما هى بمعنى الذين تربطهم رابطة إجتماع يعتبرون بها واحداً، وتسوغ أن يطلق عليهم اسم واحد كاسم أمة ، يؤكد هذه الرابطة قولة تعالى﴿وما من دابة فى الأرض ولاطائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم﴾ ؛ أى كل نوع منها على طريقة قد سخره الله عليها بالطبع، فهى من بين ناسجة كالعنكبوت، وبانية كالسّرفة، ومدخرة كالنمل، ومعتمدة على قوت وقتة كالعصفور والحمام ، إلى غير ذلك من الطبائع التى تخصص بها كل نوع . وقوله تعالى﴿كان الناس أمة واحدة﴾ أى صنفا واحداً، وعلى طريقة واحدة فى الضلال والكفر، وقوله ﴿ولوشاء ربك لجعل الناس أمة واحدة﴾ أى فى الإيمان، وقوله ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير﴾ ؛ أى جماعة يتخيرون العلم والعمل الصالح يكونون أسوة لغيرهم [٢].

١- مجمع اللغ العربية : المعجم الكبير ، جزء ١ ، ص ٥٠٥.

٢- الراغب الأصفهانى : المفرادات في غريب القرآن .

وهكذا يتبين من التعريفات السابقة أن الأمة تعنى الجماعة من بنى البشر ، ولاتكون بمعنى الجماعة مطلقاً ، وإنما هى بمعنى الجماعة الذين تربطهم رابطة اجتماع يعتبرون بها واحداً ، وتسوغ أن يطلق على جميع أفرادها اسم واحد ، وأن ينعت كل واحد منهم نعتا واحداً ؛ وهم فى هذا الكتاب أمة التوحيد ، أمة الاسلام يرتبط أفراد الأمة بعضهم ببعض فى المعاش ، ولايسهل على واحد منهم أن يعيش إلا مجتمعا متعاونا مع غيره ، ولايمكن أن يستغنى بعضهم عن بعض ، فكل واحد منهم يعيش ويحيا بشئ من عمله ، لكن قواه النفسية والبدنية قاصرة عن توفيتة جميع ما يحتاج إليه ، فلابد من إنضمام قوى الآخرين إلى قواه ، يستعين بهم، ويستعينون به .

كذلك فإن عقول البشر وغرائزه وحدها ليست كافية فى توجيه أعمالهم إلى مافية كل صلاحهم ، ووضع المعايير التى تحقق الحرية مع أكبر النفع للجميع ، فلابد لهم من هداية أخرى تعليمية ، تتفق مع القوة المميزة للإنسان ، قوة الفكر والنظر ، تلك الهداية التعليمية هى هداية الرسل منهم ، والكتب التى ينزلها الله عليهم مع الأدلة القائمة على عصمة الرسل من الكذب ، وعصمة الكتب من الخطأ ، وعلى الناس أن يستعلموا عقولهم فى فهم الأدلة على الرسالة والعصمة أولا . وسطوع الأدلة يحمل المستعدين منهم على التصديق حتما ، فإذا عقلوا ماجاءت به الرسل وجب عليهم أن يقوموا عليه ، ولايعدلوا بعمل من أعمالهم عنه ، وعليهم أن يقفوا على حكم الله فى تشريع شريعته، ووضع ماقرره من أحكام ﴿ فإما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون ﴾ (البقرة:٣٨) ، فإن الغفلة عن حكمة العمل غفلة عن فائدته، والغفلة عن فائدته انصراف عن روحه التى لايقوم إلا بها ؛ وفى ضوء ذلك تقوم مقولة هذا البحث على أن المجتمع المسلم هو الأمة التى أسلمت وجهها لله ، يضع لها منهاجها لتنمية الفطرة أو منهاجها للحرية المستنيرة .

" حقيقة المصالح أربعة أنواع ، وهى اللذات وأسبابها، والأفراح وأسبابها ؛ والمفاسد أربعة أنواع أيضا ، هى الآلام وأسبابهاوالغموم وأسبابها ؛ وهذا تعريف عام .

" الناس مختلفون متفاوتون فى طلب اللذات وفى درء الغموم المؤلمات ؛ فمنهم من يطلب الأعلى ، وقليل ماهم ؛ ومنهم من يقتصر على طلب الأدنى ؛ فمن طلب لذات المعارف والأحوال فى الدنيا ، ولذة القرب من الله فى الآخرة فهو أفضل الطالبين ؛ ومن طلب نعيم الجنة وأفراحها فقط فهو فى الدرجة الثانية ، ومن طلب أفراح هذه الدنيا ولذاتها فقط فهو فى الدرجة الثالثة " (١)

ليست هناك مصالح خالصة؛ فإن المآكل والمشارب والملابس والمساكن......الخ لايحصلها الإنسان إلا بنصب مقترن بها أو سابق عليها أو لاحق بها ، وأن السعى فى تحصيل كل هذه الأشياء شاق على معظم الخلق ، فإذا حصلها الإنسان اقترن بها من الآفات ماينكدها وينغصها- فانظر الى المآكل مثلا والمشارب: يتألم الإنسان بإحساسه بالجوع والعطش ، ثم يتألم بالسعى فى تحصيلها ، ثم يتألم بما تصير إليه من نجاسة .

يقسم علماء الشريعة المصالح ثلاثة أقسام - واجبة التحصيل ؛ فإن عظمت المصلحة وجبت . والقسم الثانى مندوبة التحصيل . والثالث مباحة التحصيل - والمصالح الدنيوية منها ناجزة الحصول كمصلحة المآكل والمشارب والملابس والمساكن والمراكب والمعاملات الناجزة الأعواض. ومنها مصالح متوقعة كالاتجار لتحصيل الأرباح وبناء الديار.. وكذلك المفاسد فمنها مايجب درؤه كالقتل والغصب والزنا، وإفساد العقول ، والدنيوى منها فيه قسم واجب الإزالة كالجهل والجوع والظمأ والعرى .

١- العز بن عبد السلام : قواعد الأحكام فى مصالح الأمام ، جـ ١ ، ص ٤٣ .

الشئ الهام الذى ننبه إليه أنه إذا عظمت المصحلة أوجبها الرب فى كل شريعة ، وكذلك إذا عظمت المفسدة حرمها فى كل شريعة .

الشئ الهام الثانى أن من المصالح ماهو فرض عين كتعلم مايتعين من أحكام الشريعة وقراءة الفاتحة وأركان الصلاة ، والزكاة ، ودفع الجهل ، وتوفير المطعم والمشرب والملبس ، وحفظ النفس، والعقل ، والمقصود بفرض تكليف الأعيان حصول المصلحة لكل واحد من أفراد الأمة ، وهكذا أوردنا بعض هذه المصالح ضمن الغايات الفردية التى يجب أن توفرها التربية لكل فرد ، وهكذا أيضا ترد بعض هذه المصالح ضمن الغايات التى يجب أن توفرها التربية فى المجتمع

الشئ الهام الثالث " أن عمل الإنسان إما مصلحة أو مفسدة ، والمصلحة إما أن تكون مصلحة لحياته الدنيا ، أو مصلحة للدار الآخرة ، أو مصلحة للحياة الدنيا والآخرة ، وهو مأمور من الله بها ، ويتأكد الأمر بها على قدر مراتبها فى الحسن والرشاد ؛ وأعلاها مرتبة هو المعرفة والايمان . أما المفسدة فهى أنواع كذلك ، وهى مَنْهِي عنها من الله أيضا ، ويتأكد النهى عنها على قدر مراتبها فى القبح والفساد[1] ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإتياء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون ﴾ (النحل: ٩٠) .

الشئ الهام الرابع أن المصالح التى تفيد الإنسان فى دنياه وآخرته لاتعرف إلا بالشرع ، بكتاب الله وسنة رسوله ، أما المصالح الدنيوية وأسبابها ومفاسدها فطريق معرفتها وتحديدها هى التجربة والعادة والظنون العلمية ؛ فإن خفى شئ من ذلك طلب من أدلته ، وعلى الانسان أن يعرض ذلك كله على عقله بتقدير أن الشرع لم يرد به ، ثم يبنى حكمه ، فلا يكاد حكم منها يخرج عن ذلك إلا ماتعبد الله به عباده ولم يقفهم

١- العز بن عبد السلام : المرجع السابق ، جـ١ ، ص ١٠ ، ١١ .

على مصلحته أو مفسدته . وبذلك تعرف الأعمال حسنها وقبحها، وعلى ذلك فمعظم مصالح الدنيا ومفاسدها معروف بالعقل"[١]

المنزل والمدرسة والجامعة أول مكان يفقه فيه الفرد الغايات المجتمعية فهى داخلة فى كل أعمالنا المتصلة بعلاقاتنا بغيرنا، حتى ولو لم يخطر ببالنا أثرها الاجتماعى لحظة القيام بها، وهى لاتتم فى فراغ، بل هى كائنة فى العلاقات الاجتماعية ؛ بحيث إذا انتفت الجماعة صعب تحقيق هذه الغايات، ولذلك فان تحقيقها يستلزم أن تكون المدرسة نفسها حياة إجتماعية بكل مافيها من أخذ وعطاء وتواصل فى إنجاز خبرات مشتركة، حيث تنمو الاهتمامات بالجماعة ، ويستلزم تحقيقها أيضا أن يكون التعليم فى المدرسة والجامعة متصلا بالتعلم أو جزءاً من التعلم خارجها، وأن يتميز هذا التعليم بالتفاعل بين المدرسة والمجتمع تفاعلا حراً ، من خلال وجود إهتمامات مشتركة وإلا كانت المدرسة شبيهة بدير الرهبان وصوامعهم ، وصعب على خريجيها العيش فى المجتمع العام والرقى به ، واستحال عليهم إدراك المصلحة العامة من المصلحة الفردية .

ميزان الأعمال :

الأصل فى أعمالنا أنها مختلفة من حيث نوعها وصفاتها وعاقبتها وما يعود منها على فاعلها ، أكد ذلك الله تعالى بقوله ﴿ إن سعيكم لشتى ﴾ (الليل:٤) ، منها الحسن ومنها القبيح ، ومنها المفيد ، ومنها الضار ، ومنها الإعطاء ، ومنها المنع ، ومنها التكذيب بالحسنى ، ومنها التصديق بها ، ومنها مايشقى به فاعله ، ومنها مايسعد به .

مع أن الناس يكادون يتفقون اتفاقا تاماً على إختلاف الأعمال نوعا ، ويميزون كل نوع ، إلا أن كثيرا منهم لايكادون يتفقــون على صفاتها وعواقبها من حيث قيمتها

١- العز بن عبد السلام : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ١١ .

الخلقية ، أى من حيث كونها مصلحة للمجتمع أو مفسدة ؛ فإن البخيل، مثلا ، إنما يمسك الفضل من ماله ولاينفقه فى أعمال البر ، وهو يعتقد أنه لم يمنع حقا ، وأنه وفى حق الحق ، لأنه يرى فى توفيرالمال صون النفس عن الحاجة وتمتعها بالكرامة وعلو المنزلة ، وهو أمر مطلوب لأهل العقل ، فهو - باعتقاده هذا قد أدخل عمله فى جنس أعمال المقتصدين وأهل الوقار والكرامة ..... كذلك يعتقد كثير من الناس أن البخيل هو الذى لايتمتع بماله فى التلذذ بمأكله ومشربه وملبسه ، وهذا بمجرده لايعد بخلا ؛ لاشرعاً ، ولافى اصطلاح علماء الأخلاق . إنما البخيل هو الذى لايبذل ماله فى سبيل الخير- خصت أو عمت - وإن أتفق جميع أموالة فى لذاتة ولذات أمثالة ، أو هو الذى لايعطى الحق فيما يطالبه به الحق ؛ ومنفعته العامة والمرحمة للخاصة من أعظم أنواع الحق ." (١)

لهذه المفارقات فى الحكم على الأعمال إذا تركنا الأمر لعقولنا وحدها - ولأهمية ذلك الحكم لسلامة المجتمع أنزل الله سورة كاملة بل سورا تضع الميزان العام للأعمال ؛ منهـا سورة الليل ، وهى تبين أن العمل الحسن ، أو المصلحة ، هو الذى يقوم على العطاء ؛ أى يتعدى نفعه صاحبه ، فيقدمه صاحبه لسد حاجة المسكين أو إغاثة المعدم الكريم ، أو للإعانة على النفع العام ؛ فهو يشارك الناس به ويتواصل معهم كما يقوم على التقوى ، فهو العمل الذى لا يؤذى الناس ، ولاينشر فاحشة ، على أساس أن فاعله مصدق بالشريعة ، مصدق بثبـوت الفضيلة والعمل الطيب ، وبالفرق بين الفضيلة والرذيلة ، وبين العمل الطيب والخبيث ، كما بينه الله فى شريعة الاسلام .
﴿فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى﴾ (الليل ٥-٧) .

كما تبين السورة أن المفسدة أو العمل السئ يقوم على إمساك المال أو الجهد أو غيرها من وسائل العمل ، وقصر استخدامها على شهوات صاحبها ولذاتة ، ولاينفقها

١- الامام محمد عبده: القرآن الكريم، جزء عم، ص٧٦-٧٨ .

فى الوجوه التى ذكرناها فى العمل الحسن ، كما يقوم العمل السئ أيضا على استغناء صاحبه بماله وقوته عن الناس ، أى أن فاعله لايحس بوجود الناس إلا عند حاجته إليهم، فلذلك لا يجد فى نفسه المرحمة لهم ، ولايحاول التواصل بضعفائهم، ولايشاركهم خبراتهم ، وهم بالتالى لايشاركونه . فالكلمة التى يقولها غالباً هى "دع الخلق للخالق" "وأنا مالى" ، وأمثالها . فأساس ذلك أنه يكذب بثبوت الفضيلة ، بصفتها أصلا من أصول الإنسانية وركناً من أركان الشريعة ، والعمل الفاسد دليل على ذلك (١)

هذه المعايير والأوزان التى أوردتها سورة الليل توضح الإطار العام ، وتؤكد صفات فى فاعل العمل الحسن كالعطاء والتقوى والتصديق بالحسنى والجزاء ، وتؤكد ضدها فى صاحب العمل السيئ . لكن الأمة شريكة للفرد فى الحياة، ومن ثم لزم أن تكون المعايير موضوعية أيضا خارجة عن ذات فاعل العمل ليتفق الناس عليها .

حدّدت سورتان هذه المعايير الموضوعية . فهذه سورة البلد بعد أن ذكرت أن الإنسان خُلق ليجد ويكد فى بلوغ الغاية من نموه ، وهذا أمر مشهود وشيئ معهود ، وأن بعض الناس قد يغلبه التعب وتقهره المشقة فى مسعاه الذى وجه عزيمته إليه ، فيضجر ولا يصبر ، وأن بعض الناس قد يشعر بقوة بدنه وعقله ، أو يحس بعزة فى سلطانه ورفعة مكانه ، أو ينظر إلى ما لديه من وفرة المال وغزارة الغنى ، فيشمخ بأنفه ويظن أنه أحرز الغاية ، ووصل إلى النهاية ، فيفتتن بهذه النعمة . بعد أن ذكرت السورة كل ذلك أوضحت أن الميزان الصحيح لكل هذه الأعمال ليس هو وفرة الجاه والمال، وهلكته فى أمور المعاش ، ولا فقدانه ، وإنما هو مقدار ما أنجز فاعلها فى مجالات ثلاثة ، هى :

١- تحرير الناس فى المجتمع فكراً وإرادة وعملاً .

٢- توفير الرعاية والطعام والكساء لمن لا يقدر منهم على إيجاده .

١- الامام محمد عبده : القرآن الكريم، جزء عم، ص٧٦ - ٧٨ .

٣- التعاون مع الناس فى المجتمع ، صبورا على المكاره ، فى سبيل الدعوة إلى الحق والمحافظة عليه ، وفى سبيل نشر التراحم بين أفراد المجتمع ، فقال الله تعالى فى هذه السورة ذاكراً هذا الميزان ﴿ فلا أقتحم العقبة ، وما أدراك ما العقبة . فك رقبة . أو إطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما ذا مقربة . أو مسكينا ذا متربة . ثم كان من الذين أمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة ﴾ (البلد: ١٠ - ١٧) .

أما سورة الفجر فتعرض الميزان الزائف الشائع بين الناس ، ثم تقدم الميزان الحق الذى ينبغى أن يتمسك به المجتمع لتسوده الحرية والعدالة ، فيقول الإمام محمد عبده مفسراً إياه " إن الله إذا أنعم على الإنسان وأوسع له فى الرزق ظن أن الله إصطفاه ورفعه على من سواه ، وجنبه منازل العقوبة ، فيفعل ما يشتهى، ناسيا الآخرين ، وربما ظن أن الله لا يؤاخذه على عمل يعمله ، وإذا امتحنه بالفقر فضيق عليه الرزق ، وربما كان ذلك من الله - لا عن إهانة له ، ولا إرادة لإذلاله - بل ليمحص قلبه بالاخلاص له ، وليظهر قوة صبره ، وتزهر الصفات الحميدة فيه ، ويشتد عوده . إذا امتحن الله بعض الناس بشئ من الضيق وقلة المال يظن هؤلاء أن الله أهانه ، وصغرت قيمته عنده ، ولم تكن لله عناية به ، ولذلك فليس يحاسبه على ما يصنع ، وهنا قد لا يقفون عند حد ، ولا تحجزهم شريعة أو قانون ، حيث صغرت نفوسهم عند أنفسهم ، فهم لا يبالون بما يفعلون " (١) .

فى رأى عامة الناس ، ميزان حسن العمل أو قبحه هو توفر المال ، أو توفر القوة البدنية ، أو كثرة الأولاد ، وغيرها من عناصر القوة ، وهكذا يصفهم الله تعالى بقوله ﴿ فأما الإنسان إذا ما إبتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربى أكرمن . وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى أهانن ﴾ (الفجر: ١٥-١٦) .

١- الامام محمد عبده : القرآن الكريم، جزء عم ، ص٧٦ .

الميزان الصحيح لحسن العمل هو مصرف القوة أو المال الذى يكسبه الفرد من هذا العمل ، أو هو محل وضع القوة واستخدامها ، لأن المال وغيره من وسائل القوة ذرائع لاستجلاب المصالح للناس ودرء المفاسد عنهم ، وليست غاية ، ومن هنا تحسب قيمة العمل الإقتصادية لا بعدد الأموال وكثرتها فى يد صاحب العمل ، بل بمقدار ما يحققه من مصالح للناس ، ويدرأ من مفاسد ، وبخاصة للضعاف منهم العاجزين عن الكسب، وقد قدم القرآن هؤلاء الضعفاء فى صورة اليتامى والمساكين : وهذا يؤكده الله تعالى بقوله فى الرد على أصحاب الميزان السابق ﴿ كلا بل لا تكرمون اليتيم. ولا تحاضون على طعام المسكين ﴾ (الفجر : ١٧ - ١٨) فلو أحّس المكتسب للمال بما عسى أن يقع فيه اليتيم - وهو رمز لكل ضعيف - وشعر بهوانه، ثم عنى بإكرامه ، ولو أدرك الضيق الذى يعانيه المسكين - وهو رمز لكل عاجز عن كسب قوته، ثم حض على طعامه ، لكان ذلك دليلا على حسن العمل ، لأنه بذلك يدعم الغاية الأولى للتربية ، وهى حفظ الفطرة وإنمائها، وهى كفالة حرية الإرادة لأفراده والحركة فى ظل التوحيد. فكيف يكون حرا من لا يملك نفسه ، ولا يملك قوته كاليتيم والمسكين ، ومن يدرأ عنهم ما يمكن أن تجر إليه الإستهانة بشئون اليتامى والمساكين من فساد أخلاقهم وتعطيل قواهم ، وإنتشار العدوى منهم إلى بقية أفراد المجتمع .

١- غاية الأمن :

الأمن مقابل الخوف ، الخوف من السوء يصيب النفس أو متعلقاتها من مال وطعام وشراب، ومن ثم صنف علماء الإجتماع الحاجة إلى الأمن ضمن الحاجيات الأساسية للإنسان، وعدّه الإسلام حاجة أساسية يحتاج إليها الناس حاجتهم إلى الطعام ، فجاء قوله تعالى ممتنا على قريش بها ﴿ فليعبدوا ربّ هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ﴾ (قريش:٣-٤) .

الربط بين الأمن والحرية هو ربط بين شرط ونتيجة ، فلا حرية بغير أمن؛ لأن الأمن شرط اساسى لإمكان ممارسة الانسان حرية التعبير ، والملكية ، والأنتقال ، والعقيدة ... الخ ولذلك نبّه الله سبحانة المسلمين فى أكثر من موضع فى القرآن إلى أن أرض الله واسعة ، فليها جر إليها من لايأمن على نفسه فى مجتمع لايعطيه قانونه حرية الفكر ولايستطيع بالتالى أن يكون حراً فى عقيدتة وحركته ، فقال ﴿ ياعبادى الذين آمنوا إن أرضى واسعة ، فإياى فأعبدون ﴾ (العنكبوت:٥٦) ، ثم طمأنه ورغبه فى الهجرة فبين أنه أينما وجد الإنسان الحرية فسيجد الرزق ، فواهب الرزق ، ومحيى الأرض بعد موتها هو الله وذلك بقوله ﴿ ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغما كثيرا وسعة ﴾ (النساء : ١٠٠) ثم ختم السورة نفسها بتوجيه نظر المشركين من أهل مكة إلى نعمة الأمن ، التى ينبغى أن تكون دافعا لهم على التفكير الجيد فيؤمنوا بالله وحده ، فقال : ﴿ أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم ، أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون ﴾ (العنكبوت : ٦٧).

الأمن نتاج التوحيد أيضا الذى هو المكون الأساسى من مكونات الفطرة ، لأن الإيمان بالله ربا واحدا يبعث فى النفس الأمن ، ويوسع مداه، ويدفع الخوف الزائف ، فالأمن والأيمان عملية دواره يزيد كل منهما من الآخر، إلا إذا شاب هذا الإيمان ظلمٌ ، فإن ظلمت الأمة ، أى حادت عن نهج الله، إنتقصت الحرية من حيث لا يدرى أبناؤها ، وضاع الأمن وجاء الخوف ، ولذا قال الله على لسان أبى الأنبياء إبراهيم عليه السلام، وهو يحاجج قومه ، عندما خوفوه بالقوة والبطش واسترهبوه ﴿ وكيف أخاف ما أشركتم، ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا ، فأى الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون . الذينءآمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون. وتلك حجتنا ءاتيناها إبراهيم على قومه ، نرفع درجات من شاء ، إن ربك حكيم عليم ﴾ (الأنعام : ٨١-٨٣)

من هذه المحاجة وما قبلها يتبين أن شيئين يحفظان الأمة من الخوف ويحققان لها الأمن، هما الإيمان الخالص بالله وحده لا شريك له ، والإجراءات ونظم المعاملات التى يوفرها المجتمع لحفظ النفوس والأموال والأولاد .

الشئ الأول نفسى فى ذات الفرد ، تحققه التربية فى البيت وفى المدرسة وفى الحياة العامة ، وهو حصيلة الخبرات الناتجة عن الممارسات والأفكار التى يعيشها الفرد مع والديه ومعلميه ، التى يستخلص منها أن الله هو الخالق البارئ المصور ، نرجو منه وحده القوة والنفع والمعونة ، ولا نخاف من غيره ضراً ولا بأسا ، وهو فى جملته الحفاظ على الفطرة ومكونها الأول وهو التوحيد فى كل هذه الممارسات .

الشئ الثانى هو إلتزام الأمة بقانون شامل كامل عادل ، وهو الشريعة ، التى ورد بها القرآن والسنة ، فلا تأتى شيئا من المفاسد إرضاء للهوى ، ولا تترك بعض المصالح عن جهل أو إهمال . وعندئذ يكون المقصود من قول الله تعالى ﴿ الذين ءامنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم ﴾ لأنفسهم ولإخوانهم ، فى إيمانهم وفى أعمالهم البدنية والنفسية ، ولا لغيرهم من المخلوقات ، من العقلاء والعجماوات ، أولئلك لهم الأمن من عقاب الله تعالى على إرتكاب المعاصى والمنكرات ، ومن عقابه على عدم مراعاة سننه فى ربط الأسباب بالمسببات " (١) .

قد يتبادر إلى الذهن أن تحقيق غاية الأمن يقوم أولا على تجييش الجيوش ، وإعداد قوات الأمن ، تحفظ بها الأمة النظام بين أبنائها ، وتدفع بها المعتدين . لكن خبرات الإنسانية منذ قديم الزمان فى كل الأمم مهما تباينت عقائدها أثبتت أن منظومة القيم فى الأمة وتمسكها بها ، وتعاونها فى الحفاظ على القيم العالية والأخلاق السامية ، سلاح أمضى وأقوى وأكثر فعالية فى أمنها داخليا وخارجيا.

١- محمد رشيد رضا : تفسير المنار ، ج ٧ ، ص ٤٨٧ .

ذلك لا يعنى الإستهانة بقوة تخيف العدو ، وتحمى الضعيف من القوى ، ولكنها ليست هى الأولى ، لأن هذه القوة نفسها فى حاجة إلى حماية . الأول هو الإلتزام بالشريعة وبما قدمته من قيم. يبين ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى خطابه لقائد جيوشه سعد بن أبى وقاص . يقول فيه " آمرك ومن معك من الجند أن تكونوا أشد إحتراسا من المعاصى منكم من عدوكم ، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم . ولا تقولوا إن عدونا شر منا، فرب قوم سلط عليهم من هو شر منهم . وإنا إن لم نهزمهم بديننا كانت لهم الغلبة علينا "

إلى ذلك المعنى يشير الله جل وعلا بقوله ﴿ وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ﴾ (النحل :١١٢)

وظيفة الجيوش هى حفظ الأمة من عدوها الخارجى ، وقد حث القرآن والسنة على إعدادها وتجهيزها ، وإعداد أبناء الأمة للعمل فيها ، وهى وظيفة تربوية أيضا، لأن الأمم تتدافع والمبادئ تتصارع ، ولايترك الباطل الحق دون منازع ؛ ولذلك قال الله تعالى ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وأخرين من دونهم لاتعلمونهم الله يعلمهم، وماتنفقوا من شئ فى سبيل الله يوف إليكم وأنتم لاتظلمون﴾ (الانفال : ٦٠) وهكذا عندما سئل الرسول صلى الله عليه وسلم : أى الأعمال أفضل ؟ قال : " إيمان بالله ورسوله : قيل : ثم ماذا ؟ قال : الجهاد فى سبيل الله ، قيل : ثم ماذا ؟ قال : " حج مبرور " ، متفق عليه ، وقد أوجب الله هذا الدفاع عن الحرية بآية محكمة هى قوله ﴿كتب عليكم القتال وهو كره لكم﴾ (البقرة : ٢١٦) ويقول ابن كثير فى تفسيرها : " هذا إيجاب من الله على المسلمين أن يكفوا شر الأعداء عن حوزة الاسلام " (١) .

١- الحافظ ابن كثير : تفسير القرآن العظيم جزء ١ ، ص٣٦٧ .

٢- الانضباط والالتزام بالقيم:

هو المسؤولية الخلقية ، وتعنى بناء ما يمكن أن نسمية الضمير الخلقى فى أبناء الأمة، فلا يفعلون شيئا ، ولايتركون آخر إلا بوازع من الداخل ، وفق منظومة القيم الاسلامية التى حددها القرآن فى آيات كثيرة ؛ منها قولة تعالى ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى . وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون ﴾ (الانعام:٩٠) . وقوله ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ، واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ، إن الله نعما يعظكم به ، إن الله كان سميعا بصيراً ﴾ (النساء:٥٨) ، وقولة تعالى ﴿ إنما يفترى الكذب الذين لايؤمنون بآيات الله ، وأولئك هم الكاذبون ﴾ (النحل:١٠٥) .

وقد بينت سنة الرسول الكريم صلى الله علية وسلم جوانب هذه المنظومة القيمية عملا وفعلا ، ووضحت كيف يتم تنفيذها ، فهذا أبو لبابة يربط نفسه بسارية المسجد- عقوبة لها على إفشاء سر ، لم يعلم بإفشائة النبى صلى الله عليه وسلم ، ولا أحد من المسلمين- ويأبى أن يفك وثاقة أحد إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رضى ومغفرة من الله . وهذه حادثة المخزومية التى سرقت ، فيأبى الرسول صلى الله عليه وسلم الشفاعة فى تنفيذ الحد ، ويقول قولته المشهورة لحبه زيد بن حارثة . " أتشفع فى حد من حدود الله يازيد ؟! ، إنما أهلك من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق الفقير أقاموا عليه الحد. والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها " وهذه الغامدية التى جاءت تطلب راضية / من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقيم عليها حد الزنا فى واقعة لم يرها فيها أحد .

هذا الالتزام من قبل الحاكم والمحكومين ، هو الذى يحفظ للفطرة نقاءها ، وللتوحيد جوهره ، ويفتح للحرية أوسع الأبواب ، وهو ترجمة عملية لما قرره الله تعالى فى القرآن بقوله ﴿ ياأيها الذين أمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء الله ولو على

أنفسكم أو الوالدين والأقربين ﴾ (النساء:١٣٥).

أما من حيث المنهج فباب المعاملات فى الفقة الاسلامى واسع ، يحدد السلوك القويم فى البيع والشراء ، والزواج والطلاق والميراث ، والحرب والسلم ، والحكومة والاجتماع ، والمخالطة والعزلة ... الخ ، وقد أفاض القرآن فى ذلك مثل قوله تعالى ﴿ياأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ، أحلت لكم بهيمة الانعام إلا مايتلى عليكم ، غير محلى الصيد وأنتم حرم إن الله يحكم ما يريد﴾ (الانفال : ١) ، وقوله ﴿للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ، وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ، مما قل منه أو كثر ، نصيباً مفروضاً﴾ (النساء : ٧) وقوله ﴿وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ، ذلك خير وأحسن تأويلا﴾ (الاسراء:٣٥) .

ولقد نفذت الأمة الاسلامية طوال عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وعهد خلفائة الراشدين، وفى عصور أخرى هذا المنهج، ووضحت فى تطبيقة تعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم حيث يقول مثلا : " من غشنا فليس منا " ، ويقول " البيعان بالخيار مالم يفترقا " ويقول : لايبع أحدكم على بيع أخيه، ولايخطب على خطبته " ويقول "كل المسلم على المسلم حرام : عرضه وماله ودمه " .

دليل الالتزام هو إعمال منظومة القيم ومنهاجها ، ولايكون إلا عن طريق الممارسات والاستخدامات التى توجه إليها هذه القيم وذلك المنهج ، لأن مهمة الوسط الاجتماعى الذى تقع فيه هذه الممارسات هى توضيح هذه القيم وغرسها فى نفوس افراد الأمة ، وتنمية الضمير الخلقى الذى أشرنا إليه ، وتوجيهه إلى أفضل استخدام ممكن . وهذا يستدعى من الأمة كلها أن تحرص مؤسساتها الاجتماعية والقضائية ، والسياسة والتنفيذية على التمسك بهذه الممارسات ، التى يستلزمها طبيعة التفاعل الاجتماعى ، يستدعى من المدرسة والجامعة أن تكونا مجتمعاً تسود معاملاته هذه القيم ، ويتطلب

أن تكون طريقة الدراسة داعية إلى الأعمال الجماعية التى تتيح ذلك الوسط الاجتماعى لتنفيذها وتنمى السلوك التعاونى ، وإصدار الأحكام ، والتفكير الحر الناقد ، المبدع ، وتتيح للطلاب الفرصة لممارسة المنهج وتطبيق القيم فى سلوكهم المعتاد؛ والإلتزام بها .

الالتزام الخلقى غاية إجتماعية للتربية وهو دعامة أساسية للأمن وتماسك الأمة ، ولذلك جاءت ءاية أداء الأمانات يتبعها ثمان آيات توضح :

- علو شأن التمسك بهذه القيم ، وذلك فى قوله تعالى ﴿ إن الله نعما يعظكم به ... ﴾ الى قوله ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ﴾ أى نعم الشيئ أن تؤدوا الأمانات وأن تحكموا بالعدل .
- ان الله رقيب يسمع ما نقول ويرى ما نفعل ، لا يخفى عليه شئ من أعمال الناس الظاهرة ولا من نياتهم .
- أن الالتزام بأداء الأمانات وإقامة العدل يقتضى الالتزام بالشريعة كلها ، وطاعة الله فى كل ما يأمر به أو ينهى عنه ، وطاعة الرسول فى كل ما يبلغ للناس ، ويهديهم إليه ، وطاعة ما يستحدثه ولى الأمر .
- أن هذا الالتزام بالشريعة معناه الالتزام بالتوحيد الخالص ، وبعده عن النفاق.
- أن الالتزام دليل الإيمان فختم الآيات الثمان بقوله ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما﴾ (النساء :٦٥).

الالتزام الخلقى فى الإسلام منشؤه الفرد نفسه مهتديا بشريعة الله ، هو الفرد نفسه ؛ بفطرته ، وما جبل عليه فى خليقته ، وفى ذلك يقول الله تعالى ﴿ ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها ﴾ (الشمس:

٧ - ١٠) ، فجوهر الأخلاقية يكمن فى نشاط ذاتنا المفكرة ، ولهذا زودنا الله ببصيرة يفسرها قوله تعالى ﴿ بل الانسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره ﴾ (القيامة : ١٥) ويشرح ذلك الرسول صلى عليه وسلم قائلا : إذا أراد الله بعبد خيراً جعل له واعظاً من نفسه يأمره وينهاه [١] . ففى الانسان قوة باطنة ، لا تقتصر على نصحه وهدايته ، بل إنها توجه اليه بالمعنى الصريح أوامر : أن يفعل أولا بفعل .[١]

الأخلاقية الصحيحة لا تجد مجالها فى الإلزام من خارج النفس ، من أى قوة ، أيا كانت ، سواء كان الفرد مدفوعاً بالغريزة والهوى - كما يدعى بعض الغربيين - مجبوراً بها على أداء فعل ما ، أو محمولاً بالعاطفة ، أو مأموراً بالبيئة استبداداً ، بل لابد أن يمر أى من هؤلاء بالضمير ، ويتعرض لعملية إنضاج حقيقية ، يخرج منها بمظهر جديد ، يقويه العقل ويفرضه ، ولهذا يقف القرآن ضد الإلزام القاهر للنفس ، ويحذر الفرد منه كعدو للأخلاقية ، فيقول الله فى شأن الإلزام الناشئ من خضوع الفرد للغرائز " ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله "ويقول فى شأن الإلزام الناشئ من التقليد والعاطفة ، ذاماً الكافرين ﴿ قالوا إنا وجدنا أباءنا على أمة ، وإنا على إثارهم مقتدون ﴾ (المائدة : ١٣٢) ثم يحدد مسؤولية العقل الذى فطرنا عليه فيقول ﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم ، إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً ﴾ (الإسراء : ٣٦) ، ويرفض الأمر المستبد حتى ولو كان من تلك الأوامر التى فيها صلاح شأن الفرد ، فيقول مخاطبا الرسول صلى عليه وسلم ﴿ أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ﴾ (يونس:٩٩) [٢] .

لكن العقل ، هذا النور الفطرى قد يغلفه الهوى كما تدفعه الغرائز ، وتفسده العادات ، وهو محدود بسعته ، قاصر عن أن يقدم فى كل أمورنا شرعا تتوفر فيه فى

(٢،١) محمد عبد الله دراز : دستور الأخلاق في القرآن " ص ٢٥-٢٧

وقت واحد صفات الحسية والكمال والشمول وهى ضرورات الحكم الأخلاقى ، ولذلك لزم رجوعه إلى سلطة أعلى من أجل الحصول على هذه الصفات الثلاثة ، وهى سلطة يجب أن تكون ذات علم مطلق ونور أبدى ، وهى الله .

على أن القرآن والسنة لا تقدم هذا الأمر الإلهى على أنه سلطة مطلقة مكتفية بنفسها لكى تكون فى أعيننا أساسا لسلطان الواجب ، بل قرن القرآن كل حكم بما يسوغه ، وربط كل تعليم من تعاليمه بالقيمة الأخلاقية التى تعد أساسه ، وذلك فى إطار عام ، هو قول الله تعالى ﴿ ياأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ، واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون ﴾ (الأنفال : ٢٤) وقوله ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا ﴾ (الاحزاب : ٣٦) .

هذا الالتزام بالقيم ، الالتزام بالحق ، الالتزام بالشريعة والدعوة لها ، والصبر على تطبيقها وإنفاذها فى كل حياة المجتمع هو الغاية الاجتماعية الدالة على الفلاح ، وبذلك جاءت سورة من القرآن محكمة قصيرة هى " والعصر ، إن الإنسان لفى خسر ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر "، وفى توضيح هذا الالتزام الوارد فى معناها يقول الامام محمد عبده " الحق هو ما تقرر من حقيقة ثابتة أو شريعة صحيحة ، وهو ما أرشد اليه دليل قاطع أو عيان ومشاهدة ، فشرط النجاة من الخسران ان يعرف الناس الحق ويلزموه أنفسهم ، ويمكنوه من قلوبهم ، ثم يحمل الناس بعضهم بعضا عليه بأن يدعو كل صاحبه الى الاعتقاد بالحقائق الثابتة التى لا ينازغ فيها العقل ، ولا يختلف فيها النقل ، وأن يبعدوا بأنفسهم وبغيرهم عن الأوهام والخيالات التى لا قرار للنفوس عليها ولا دليل يهدى إليها ، ولا يكون ذلك إلا بإعمال الفكر وإجادة النظر فى الألوان حتى تستطيع النفس دفع ما يرد عليها من باطل

الأوهام ، وهذا إطلاق للعقل من كل قيـــد ، مع اشتـراط التدقـيق فى النظر ، لا الذهاب مع الطيش والانخداع للعادة والوهم . ومن لم يأخذ نفسه بحمل الناس على الحق الصحيح بعد أن يعرفه ، فهو من الخاسرين ، كما ترى فى الآية بالنص الصريح الذى لا يقبل التأويل " [1] وقد رُوى أن كان الرجلان من أصحاب رسول الله صلى عليه وسلم إذا إلتقيا لم يتفرقا حتى يقرأ أحدهما على الآخر سورة العصر ، وذلك ليذكر كل منهما صاحبه بما يجب أن يكون عليه

٣- المسؤولية الاجتماعية أو الولا ة الاجتماعية :

وهى تعنى مساهمة الفرد فى رقى الجماعة بعمل يحفظ ، أو يزيد من حرية أفرادها فى الرأى والإرادة والحركة المنضبطة . وقد وضح أركانها القرآن الكريم فى ترتيب نزوله على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تقويما لمجتمع مكة باعتباره صورة لمجتمع الناس حيث ينعدم التوحيد وتتلاشى ضوابط الشريعة ، وتصويراً للمجتمع الكامل فى المدينة المنورة ، وترجمة لشعور الفرد بالانتماء إلى الجماعة ، هادفاً إلى الحفاظ على الفطرة التى سميناها الحرية المنضبطة بالتوحيد وتنميتها .

أساس هذه المسؤولية هو الولاية المتبادلة بين أفراد المجتمع ، بحيث يكون كل واحد منهم فى موقعه ولياً للجماعة أو لمجموعة من أفرادها ، حسب اتساع الدائرة التى تتيحها له قدراته ودوره الاجتماعى والاقتصادى والسياسى ، وذلك وفق آية القرآن الحكيم التى تقول ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة . ويطيعون الله ورسوله . أولئك سيرحمهم الله . إن الله عزيز حكيم ﴾ (التوبة : ٧١) .

١- الأمام محمد عبده : " القرآن الكريم ، جزء عم " ، ص١١٦

الولاية تشعر بالتدبير والقدرة والفعل ، وما لم يجتمع فيها ذلك لم يطلق على صاحبها اسم الوالى أو الولى ، وتشير مادة " ولى " ومن مشتقاتها الولى والمولى إلى ذلك أيضا . لفظ المولى اسم يقع على معانٍ كثيرة ، فهو الرب والمالك والسيد والمنعم والمعتق والناصر والمحب والتابع والجار وابن العم والحليف والعقيد والصهر والصديق والنصير والصاحب والشريك ومنه الوَلْى بمعنى القرب والدنو " .. وبهذه المعانى جاء ت فى القرآن مثل قوله تعالى " ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا ، وأن الكافرين لا مولى لهم " ، وقوله " الله ولى الذين آمنوا - قال أبو اسحق الله وليهم فى حجاجهم وهدايتهم وإقامة البرهان لهم ، لأنه يزيدهم بإيمانهم هداية " [1] وبه جاءت ايضا فى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله " أنا ولى من لا ولى له " وفى قوله " لانكاح بغير ولى وشاهدى عدل " وهكذا خلق الله الخلق وأحوج بعضهم الى بعض لتقوم كل طائفة بمصالح غيرها ، فيقوم بمصالح الأصاغر الأكابر ، والأصاغر بمصالح الأكابر، والأغنياء بمصالح الفقراء ، والفقراء بمصالح الأغنياء ، والنظراء بمصالح النظراء ، وهذا القيام ينقسم الى جلب مصالح الدارين أو أحدهما أو إلى دفع مفاسدهما أو أحدهما " [2] يُحدد هذه الولاية رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثلاثة أحاديث وبخاصة ، الأول قوله صلى الله على وسلم : كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته ، الإمام راع ، ومسئول عن رعيته ، والرجل راع فى أهله ومسئول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ، والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته ، فكلكم راع ومسئول عن رعيته " متفق عليه . والثانى قوله صلى الله عليه وسلم " الدين النصيحة " قالوا لمن يارسول الله ، قال " لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم " . رواه مسلم . والثالث عن جرير بن عبد الله ، قال " بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، والنصح لكل مسلم "

١- ابن منظور : لسان العرب ، ص ٤٩٠٣ .

٢- عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام : قواعد الأحكام في مصالح الأنام ، ج٢ ص ٨١ .

متفق عليه .

يبين الحديث الأول حتمية الولاية أو فرضيتها على كل فرد ، وتنوعها واتساعها تبعا للدور والمركز الاجتماعى ، ويشير الى ايجابيتها بمعنى أن يؤدى الولى أفعالا وأقوالا تحقق لمن هم فى دائرته السعادة، من جلب مصلحة أو درء مفسدة . أما الحديث الثانى فيوضح اتجاه سريان هذه الولاية ، فهى تتحرك فى جميع الاتجاهات محدودة بدور الفرد فى المجتمع وقدراته أيضا فهو ينصح عامة المسلمين وخاصتهم .

تقوم هذه الولاية على ثلاث دعائم ، الأولى حب الناس والثانية التعاون بينهم والثالثة التناصح .

الحب :

وهو عاطفة محلها القلب تتبلور حول الإنسان ، بنشأ عنها اتجاه بالقرب نحو مصالحه ، وبالبعد عن مفاسده ، وينتج عن هذا القرب - سواء كان قرباً مادياً أو نفسيا - سرور ورضى نفسى قد تصحبه لذة مادية أو كسب مادى . وكلما تكونت هذه العاطفة داخل إطار من القيم النبيلة قوى الاتجاه الايجابى نحو موضوعها ، وزاد تجانس المحبين ، وتماسكهم ، على عكس تلك التى تتكون حول هوى أو شهوة .

وهكذا نجد الحب الذى تقوم عليه الولاية الإجتماعية فى التربية الإسلامية قائما داخل إطار التوحيد وما أنزله الله من شريعة ، أشار إليها بدعوته إلى هذا الحب بقوله ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ﴾ (آل عمران : ١٠٣) . حبل الله هو القرآن والسنة النبوية ، والحب فى الله هو الحب القائم داخل إطار قيم القرآن والسنة ، وهو الذى ألف بين قلوبهم ، هو روح الولاية الاجتماعية .

يؤكد ضرورة هذا الحب قول الله تعالى فى الآية التالية ، ﴿ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات ، وأولئك لهم عذاب عظيم ﴾ (آل عمران : ١٠٥) فقد جعل الله الفرقة والبغض كفراً بدليل الآية بعدها وهى قوله ﴿ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ، فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون . ﴾ (آل عمران : ١٠٦) ، ويدل على ذلك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا تؤمنوا حتى تحابوا ، ثم يؤكد ذلك مرة ثالثة بالاشارة إلى صفة خير أمة، فهى التى تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله ..." [١]

هذا الحب هو الرباط الذى يوحد الولى بمن يواليه ، ومن ثم يتشاركون الحياة ويتعاونون ويتناصحون ، ولذلك كانت أول خطبة لرسول الله صلى عليه وسلم فى مجتمع المسلمين بالمدينة المنورة قائمة على تدعيمه فى نفوس أبناء هذا المجتمع ، وجاء فيها قوله ، " لا تؤمنوا حتى تحابوا ، ألا أدلكم على شيئ إن فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام وأطعموا الطعام " وهذه سنة تبين لرجال التربية أن الطريق الى الحب بعد الايمان بالله هو أن يطيب القول بين أفراد الجماعة فيحيى بعضهم بعضا بالسلام ، وأن يجتمعوا معا على طعام فى مناشط الحياة ، وخيركم من جاد بما عنده ، فإن لم يتيسر هذا العمل الايجابى البسيط ، وهو التحية بالسلام والمشاركة فى طعام ، فليكن العمل الايجابى الأبسط ، وهو أن يمسك الفرد لسانه ويده فلا يؤذى بهما الناس ، وذلك مصداق حديث متفق عليه هو قول رسول الله صلى الله عليه وسلم " أفضل المسلمين من سلم المسلمون من لسانه ويده " .

ثم كانت الخطبة الثانية تدعيم هذا الحب واظهاره بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، أخوة فاقت فى رباطها أخوة الدم ، وفيها تجلت ولاية المسلم للمسلم ، وشهد لهم الله

١- مجمع البحوث الاسلامية : التفسير الوسيط للقرآن الكريم، حزب ٧ ، ص ٦٣٦ .

بقوله ﴿ والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوقى شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ (الحشر : ٩) .

" المحبة إذا فقدت لا يحل محلها شئ فى منع الشر والوقوف عند حدود الحق إلا فضيلة العدل ولا يتم العدل إلا بحب من تعدل بينهم ؛ ولذلك جعل الاسلام المحبة فضيلة والعدل فريضة وأوجبه لجميع الناس فى الدولة الإسلامية لا يختص به مسلم دون كافر ، ولا بر دون فاجر ، ولا غنى دون فقير " [١] وهكذا الحب أساس أداء المسؤولية الاجتماعية نعلمه أبناءنا ونعودهم حب الناس جميعا ، فى إطار قيم الشريعة الاسلامية ، وأولها العدل .

التعاون :

هو مشاركة فى التجربة أخذاً وعطاءً ، وهو نشاط يجعل خبرة الفرد أكثر فائدة للأخرين وأكثر قيمة ، يثرى خبراتهم ويثرون خبرته ، وهو نشاط أساسه الحب أو الاهتمام بالآخرين ، لا يقف عند حد التعاطف أوالإرادة الطيبة وإنما هو أفعال عملية تجسد هذا التعاطف وتدل على هذه الارادة الطيبة ، مهما صغرت هذه الأفعال حجما أو قلت عددا ، يبين ذلك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم " كل سُلامى من الناس عليه صدقة ، كل يوم تطلع فيه الشمس ، تعدل بين الإثنين صدقة ، وتُعين الرجل فى دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة ، والكلمة الطيبة صدقة وبكل خطوة تمشيها الى الصلاة صدقة ، وتميط الأذى عن الطريق صدقة " ، ذلك لأن الناس مرتبطون بعضهم ببعض فى المعاش ، لا يسهل على واحد منهم أن يعيش إلا مجتمعا متعاونا مع غيره ، فكل واحد منهم يعيش بشئ من عمله . لأن قواه النفسية والبدنية قاصرة عن توفيته جميع ما يحتاج إليه ، وعليه أن يتعاون مع أفراد المجتمع . فيحفظ

١- محمد رشاد رضا : تفسير المنار ، جزء ١ ، ص ٦٣

جهده وجهدهم بعيدا عما لا ينفع ، وما قد يضر ، فلا يخوض مع الخائضين ولا يشجع أولئك الذين يدخلون فى أبواب الباطل ويضيعون جهدهم فيها ..

وهكذا يصف الرسول عليه الصلاة والسلام الفرد المخالط للناس الصابر على المشقة والأذى فى تعاونه معهم بأنه خير ممن يعتزل الجماعة ، وذلك بقوله : المؤمن الذى يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذى لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم " رواه احمد والترمذى . وهكذا يأمر الله تعالى بالتعاون الايجابى بقوله ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى . ولا تعاونوا على الأثم والعدوان ﴾ (المائدة :٢) .

تشير الآيات والاحاديث الى أن التعاون يتحقق على مستويين : الأول التعاون المباشر ويكون فى سياق أنشطة الحياة العادية ، بمعنى أن يشارك الفرد أعضاء الجماعة- مهما اختلفت مراكزهم وأدوارهم - فى رفع العنت عنهم ، أو فى تحريرهم من ذل السؤال أو من قيود الضيق النفسى التى تحول دون حرية الفكر أو الحركة بسبب ظروف الحياة وتفاعلاتها ، سواء كان تعاونه نتيجة الاستعانة به ، أى بطلب العون منه، أو كان معونة ناشئة من تلقاء نفسه بأن يسد العجز فى إتمام عمل يعجز عنه الآخر وحده، أو بأن يساعده فى إتمامه . وهذا تعاون مباشر يقع من الفرد لواحد أو أكثر من أعضاء الجماعة .

المستوي الثاني من التعاون غير مباشر ، يتم عندما لا يستطيع الفرد تقديم المعونة وحده ، أو يعجز عن توفيرها بمفرده ، لكبر حجمها ، وتجاوزها طوقه ، فيحث على المعونة أو يقدمها عن طريق إسهامه فى مؤسسات أو تنظيمات يقيمها أفراد المجتمع كالجمعيات الخيرية بأنواعها والمؤسسات المدنية والعلمية ، والاقتصادية ، التى تعمل على تنمية المجتمع ، وحفظ النظام ، والانضباط ، والتقدم وهذا ما يدل عليه السياق الذى وردت فيه الآية التى أمرت بالتعاون ، فهى والإحدى عشرة آية من صدر

سورة المائدة تأمر المؤمنين بأن يفوا بالعقود ، وأن يحافظوا على حدود الله ، فيحلوا ما أحل الله ، ويحرموا ما حرم ، وأن يجتهدوا فى إقامة العدل عامة ، وهى أمور تتجاوز العمل الفردى ، ولذلك أمرهم بالتعاون ، فهو تعاون على البر والتقوى تقوم به مؤسسات مجتمعية .

إلى هذا النوع الثانى ينبه القرآن تنبيها محدداً ، ويدعو اليه فى أكثر من موضع، مثل قوله واصفا المكذب بالدين ﴿أرأيت الذى يكذب بالدين فذلك الذى يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين﴾ (الماعون:١-٣) وقوله فى وصف المجتمعات الفاسدة ﴿كلا بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين﴾ (الفجر : ١٧:١٨) فقد جاء التعبير بلفظ " الحض على الطعام " فى أكثر من موضع ليفيدك أنه إذا عرضت حاجة المسكين ولم تجد ما تعطيه ، فعليك أن تطلب من الناس أن يعطوه ، وفيه حث " للمؤمنين " على إغاثة الفقــراء ولو يجمع المال من غيرهم ، وهى طريقة الجمعيات الخيرية ، فأصلها ثابت فى الكتاب بهذه الآية " (١) .

كذلك يكون التعاون فى اتجاهين : الأول بدهى ، وهو أن تقدم المعونة للأخر لينجز عملاً طيبا ، أما الثانى فهو أن تعينه على ألا يعمل عملاً سيئا أو تمنعه من أدائه ، فقد روى البخارى أن رسول الله صلى عليه وسلم قال : " انصر أخاك ظالما أو مظلوماً. قيل يارسول الله ، هذا ننصره مظلوما ، فكيف أنصره ظالما ؟ قال تمنعه من الظلم ، فذاك نصرك إياه " وهذا تفسير للجزء الثانى من الآية الآمرة بالتعاون فى قوله تعالى " ولا تعاونوا على الإثم والعدوان " فالأمر بالتعاون على البر والتقوى من أركان الهداية الاجتماعية فى القرآن ، لأنه يوجب على الناس إيجابا دينيا أن يعين بعضهم بعضا على كل عمل من أعمال البر التى تنفع الناس أفرادا وأقواما فى دينهم ودنياهم ، وعلى كل عمل من أعمال التقوى التى يدفعون بها المفاسد والمضار عن أنفسهم ، فجمع بذلك

١- الامام محمد عبده : القرآن الكريم ، جزء عم ، ص ١٢٣

بين التحلية والتخلية ، ولكنه قدّم التحلية بالبر ، وأكدها بالنهى عن ضده ، وهو التعاون على الإثم والعدوان ... والأثم يطلق على كل ذنب ومعصية ، والعدوان تجاوز حدود الشرع والعرف فى المعاملة والخروج عن العدل فيها " [١]

التناصح :

معترك الحياة هو البوتقة التى تتربى فى داخلها الأمة ، وهو الذى يشد بناءها بما يمسها من حوادثه ، والحاجات ووقعها ، والضرورات ولدغها ، فكما يؤدب الصبى أبواه يؤدب الجماعة شدة وقع الحوادث الكونية فيها ، حيث تكشف لهم التجارب خطأهم فيما يتوهمون ، وتأتيهم بعلم ما لم يكونوا يعلمون ، فيعقلوا كثيرا من أصول اجتماعهم ويكشفوا عن عناصر بنيتهم المعنوية .

ولابد أن يكون للأمة حفاظ يحفظها فى هذا المعترك ، ترجع اليه فيضبط حركتها ، ويكشف لها طريق الصواب ، ويجمع كلمتها ، ويسدد خطاها . هذا الحفاظ هو الشريعة ، ولكن كيف نضبط بها الحركة ونحفظ بها الوحدة ، ونكشف بها الصواب فى هذا المعترك ، ذلك ما بينه الله جل وعلا فى قوله ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ (آل عمران : ١١٠) . ذلك هو التناصح ليرد أفراد الأمة بعضهم بعضا الى ضوابط الشريعة القائمة على التوحيد ، والتى يكشف عنها فى الآية لفظ " وتؤمنون بالله " جملة القول أن الدعوة الى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فرضٌ على كل مسلم ، كما تدل الآية فى ظاهرها المتبادر ، وغيرها من الآيات كقوله تعالى فى بيان أسباب هلاك مجتمع بنى اسرائيل ﴿كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه﴾ (المائدة : ٧٩) ، وكذلك عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم ؛ [٢] .

١- محمد رشيد رضا : تفسير المنار ، جـ٥ ، ص ١٤٠ .

٢- الامام محمد عبده ، في " تفسير المنار " ، محمد رشيد رضا ، جـ٤ ، ص ٣٠ .

هذا التناصح حرز للأمة ، فإن الناس إذا تركوا الدعوة الى الخير وسكت بعضهم لبعض عن مخالفتهم للمعايير والقيم التى ارتضوها خرجوا عن معنى الأمة ، وكانوا أفذاذاً متفرقين لا جامعة لهم . ولقد كان المسلمون فى الصدر الأول ، لا سيما فى زمن أبى بكر وعمر على هذا النهج من المراقبة ، والنصيحة للقائمين على الاعمال العامة حتى كان الصعلوك من رعاة الإبل يأمر مثل عمر بن الخطاب وهو أمير المؤمنين وينهاه فيما يرى أنه الصواب ، وكان لافرق فى ذلك بين رجل وامرأة ؛ وحادث المرأة التى نبهت عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى خطأ تحديد مهور النساء مشهور معروف. وعندها قدر عمر بن الخطاب هذا العمل منها والتناصح فى الخير، وقال أخطأ عمر وأصابت إمرأة. وقد رفع تعالى من قيمة هذا التناصح وجعله بديلا للجهاد فى سبيل الله لغير القادرين عليه بقولة ﴿ ليس على الضعفاء ولاعلى المرضى ولاعلى الذين لايجدون ماينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ؛ ماعلى المحسنين من سبيل؛ والله غفور رحيم ﴾ (التوبة:٩١) " النصيحة والنصح تحرى مايصلع به الشئ، ويكون خاليا من الغش والخلل والفساد، من قولهم نصح العسل، ونصح إذا كان مصفى خالصا ، ومنه يُعلم أن من النصح لله ورسوله فى هذه الحالة كل مافية مصلحة للأمة ، ولاسيما للمجاهدين منها، من كتمان سر، وحث على بر، ومقاومة خيانة الخائنين فى سر وجهر، فالنصح العام ركن من الأركان المعنوية للاسلام ، فالآية تبين أن لا إثم على القاعدين عن الجهاد الواجب من هذه الاصناف الثلاثة اذا انصحوا لله ورسوله ، أى اذا أخلصوا لله الايمان، وأخلصوا للرسول صلى الله عليه وسلم الطاعة وأداء الأمانة بالقول والعمل (١).

هذا التناصح عام واجب على جميع أبناء الأمة، ولايعفى منه أحد بحجة أنه يكفيه صلاحه نفسه وقيامه بعمله، مسيئا فهم الآية ﴿ ياأيها الذين ءامنوا عليكم أنفسكم

١- محمد رشيد رضا : تفسير المنار ، جـ ١٠ ، ص ٢٠٧

لايضركم من ضل إذا اهتديتم ﴾ (المائدة :١٠٥) فقد روى أحمد، والترمذى وصححه أبو يعلى، وابن حبان، والدار قطنى، والبيهقى، وكلهم عن طريق قيس بن حازم قال:قام أبو بكر خطيبا، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية وإنكم تضعونها فى غير موضعها، وإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إذا رأى الناس المنكر فلم يغيروه أو شك أن يعمهم الله بعقاب " ولأبن مردويه عن ابن عباس قال " قعد أبو بكر على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم سُمىّ خليفة رسول الله، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم مدّ يده فوضعها على المجلس الذى كان النبى صلى الله عليه وسلم يجلس عليه من منبره. ثم قال : سمعت الحبيب وهو جالس فى هذا المجلس يتأول هذه الآية ... ثم فسرها، فكان تفسيره لنا أن قال: نعم ليس من قوم يعمل فيهم بمنكر، ويفسد فيهم بقبيح فلم يغيروه ولم ينكروه إلا حق على الله أن يعمهم بالعقوبة جميعا، ثم لايستجاب لهم. ثم أدخل أصبعية فى أذنيه فقال. ألاّ أكون سمعته من الحبيب صُمّتا (١) .

لاينفصل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر عن الحفاظ على التوحيد ، الحرية المستنيرة ، فهى منبعه وهو سياجها؛ لأن التناصح يقوم على الإحساس بالشركة فى الأعمال . والشركة فى عائدها؛ ومن ثم يرى كل فرد فى المجتمع الآخر صورة له، تجب له النصيحة إن أخطأ، والتشجيع إن أحسن. وفى هذا حديثان للنبى صلى الله عليه وسلم. الأول أخرجه البخارى عن النعمان بن بشير أنه صلى الله عليه وسلم قال: مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة ، فصار بعضهم أعلاها، ،وبعضهم أسفلها، وكان الذين فى اسفلها اذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا. لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا؛ فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً ، الحديث الثانى رواه أحمد فى

١- محمد رشيد رضا : تفسير المنار ، جـ٤ ، ص ٢٦

مسنده عن أبى سعيد، وهو قول رسول الله صلى الله عليه وسلم"لايحقرن أحدكم نفسة. قالوا يارسول الله : كيف يحقر أحدنا نفسه؟ قال: يرى أن عليه مقالا ثم لا يقول فيه، فيقول الله عز وجل له يوم القيامة: مامنعك أن تقول فى كذا وكذا؟ فيقول : خشية الناس. فيقول: إياى كنت أحق أن تخشى .

هذا التناصح ، هذا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يستلزم إعداداً تربوياً، فالمواطن فى حاجة إلى قدر أساسى من العلم بالدين والدنيا، يصلح به معاشه، وهو كذلك بحاجة الى أن يعرف كيف يحافظ على ذلك القدر وينميه لنفسه ، ولإخوانه ، وكيف يعاونهم فى حفظه ، وكيف يحفظ لهم وله نظام حياتهم ومعيشتهم بآدابة العامة ومعاملاتة، ويتدرب على ذلك من صغره، فلكل فئة عمرية تكاليف، لمجتمع الطفولة آداب ونظام، ولمجتمع الشباب آداب ومعاملات، ثم للمجتمع العام نظام ومعاملات،. من المسؤول عن حفظها والحفاظ عليها وتطويرها ؟ إنها التربية .

أبسط مثال لدور التناصح هو الحفاظ على قواعد المرور وسلامة الطريق وهى التى وصفها رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنها شعبة من شعب الايمان بقوله : الايمان بضع وسبعون شعبة ، أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ". من يقوم به؟ كلنا مسؤول عن ذلك وفق دوره الاجتماعي وقدراته .

النصيحة نوعان عامة وخاصة . أما الخاصة فهى أن يتخصص بعض أفراد الأمة فى الدين، فيعرفون أسرار الأحكام وحكمة الدين وفقهه ، فيتولون بذلك تعليم الناس عامة أمور دينهم ليكونوا بدورهم واعين بالقيم واطار المعاملات ، فيتناصحون فيما بينهم على اساس سليم، وذلك تنفيذا لقول الله تعالى: ﴿ فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ﴾ (التوبة :

١٢٢) وإعمالا للآية ﴿ ولتكن منكم.أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر؛ وأولئك هم المفلحون ﴾ (آل عمران:١٠٤)

أما النصيحة العامة، فهى التى يقوم بها أفراد الأمة جميعا فيما يكون بينهم بعضهم وبعض فى شئوون الحياة الجارية، ويستوى فى هذه النصيحة المتخصص فى علوم الدين وغير المتخصص، وهى ما يكون بين المتعارفين من الدلالة على الخير والحث عليه ، والنهى عن الشر والتحذير منه، فى إطار منظومة القيم الإسلامية." ولايقبل هنا الاعتراض على القول بالعموم بحجة أنه يشترط فيمن يأمر وينهى أن يكون عالما بالمعروف الذى يأمر به والمنكر الذى ينهى عنه، وفى الناس جاهلون لايعرفون الأحكام، ولكن هذا الأعتراض لا ينطبق على ما يجب أن يكون عليه المسلم من العلم ، فإن المفروض الذى ينبغى أن يحمل عليه خطاب التنزيل فى قول الله تعالى ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ (آل عمران : ١١٠) هو أن المسلم لا يجهل ما يجب عليه ، وهو مأمور بالعلم والتفرقة بين المعروف والمنكر، على أن المعروف عند إطلاقه يراد به ما عرفته العقول والطباع السليمة . والمنكر ضده ، هو ما أنكرته العقول والطباع السليمة ، ولا يلزم لمعرفة هذا التخصص الدقيق ، لأن المرشد إليه مع سلامة الفطرة كتاب الله وسنة رسوله المنقولة بالتواتر والعمل ، والتى ينبغى أن يقف المواطن فى مرحلة التعليم الأساسى على الضرورى منها وهو ما لايسع أحداً جهله ، ولا يكون المسلم مسلماً إلا به ، فالذين منعوا عموم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر جوزوا أن يكون المسلم جاهلاً ، لا يعرف الخير من الشر ، ولا يميز بين المعروف والمنكر ، وهو لا يجوز ديناً (١)

١- محمد رشيد رضا : تفسير المنار ، ج٤ ، ص٢٣

" كـذلك ينبـغى أن نفـرق هنا بين النهى عن المنكر - وهو جـانب من جـوانب التناصح- وبين تغيير المنكر بالفعل ، وهو شأن ولى الأمر ، وهو مرتبة خاصة ، غير مرتبة التناصح ، ولابد فيها من قدرة خاصة ، ولذلك أجمع العلماء أنها من خصائص الحكام ، فيشترط فيها إذنهم " [1] .

١- الامام محمد عبده ، عن محمد رشيد رضا ، تفسير المنار ج٤ ، ص٢٤

المراجــــع

١ - ابن منظور المصرى : **لسان العرب** ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٩ .

٢ - أبو اسحق الشاطبى : **الموافقات فى أصول الشريعة** ، بقلم عبد الله دراز ، بيروت ، دار المعرفه ، د . ت .

٣ - أبو حامد الغزالى : **إحياء علوم الدين** ، القاهرة ، لجنة نشر الثقافة الإسلامية ، ١٣٥٦ هـ .

٤ - ———— : **ميزان العمل** ، تحقيق وتقديم سليمان دنيا ، القاهرة ، دار الكتب ، ١٩٦٤ .

٥ - أبو الحسن على بن محمد التلمسانى : **الدلالات السمعية على ما كان فى عهد رسول الله ﷺ من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية** ، القاهرة : المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ١٩٨٠ .

٦ - أبو العباس أحمد القلقشندى : **صبح الأعشى وصناعة الإنشاء** ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٣ .

٧ - أحمد الأهوانى : **التربية الإسلامية** ، القاهرة ، دار المعارف ، د . ت .

٨ - أحمد فريد رفاعى : **الغزالى** ، القاهرة ، مطبعة عيسى البابى الحلبى ، سلسلة زعماء الفلسفة والأدب والأخلاق ، ١٩٢٦ .

٩ - الإمام محمد عبده : **القرآن الكريم** ، جزء عم : تفسير ، القاهرة ، مطابع الشعب ، كتاب الشعب ، ع ١ ، د . ت .

١٠- ———— : **فاتحة الكتاب** ، القاهرة ، مؤسسة الطباعة لدار التحرير ، كتاب التحرير ، ع ١ ، ١٣٨٢ هـ .

١١- جون ديوى : **الديمقراطية والتربية** ، ترجمة نظمى لوقا ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية .

١٢- حيدر آل حيدر : **ملاحظات حول الثقافة والمنهج** ، المسلم المعاصر ، ع ٤٦ ، س ١٢ ، ربيع الثانى ١٤٠٦ هـ .

١٣- دى . چى أوكونور : **مقدمة فى فلسفة التربية** ، ترجمة محمد سيف الدين فهمى ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٢ .

١٤- الراغب الأصفهانى : **المفردات فى غريب القرآن** ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٠ .

١٥- الشيخ عبد الرحمن حسن آل الشيخ : **فتح المجيد فى شرح كتاب التوحيد** ، القاهرة ، مطبعة المشهد الحسينى ، ١٩٦٦ .

١٦- عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) : **القرآن وقضايا الأنسان** ، ط ٢ ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٧٨ م .

١٧- عباس العقاد : **التفكير فريضة إسلامية** ، القاهرة ، دار الهلال ، ١٩٨٨ .

١٨- عبد الحليم محمود : **الإسلام والعقل** ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٨٥ .

١٩- عبد العزيز جاويش : **الإسلام دين الفطرة** ، القاهرة ، دار الهلال ، كتاب الهلال، ع ١٨ ، د . ت .

٢٠- عبد الكريم الخطيب : **التفسير القرآنى للقرآن الكريم** ، القاهرة ، دار الفكر العربى ، ١٩٧٠ .

٢١- عبد الله ناصح علوان : **تربية الأولاد فى الإسلام** ، ط ٦ ، القاهرة ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٨٣ م .

٢٢- عز الدين بن عبد السلام السلمى : **قواعد الأحكام فى مصالح الآنام** ، راجعه وعلق عليه طه عبد الرءوف سعد ، بيروت ، دار الجيل ، ١٩٨٠ .

٢٣- عماد الدين أبو الفدا اسماعيل بن كثير : **تفسير القرآن العظيم** ، القاهرة ، دار أحياء الكتب العربية ، د . ت .

٢٤- فخر الدين الرازى : **مفاتيح الغيب المشهور بالتفسير الكبير** ، القاهرة ، المطبعة المصرية الميرية ، ١٢٧٨ هـ .

٢٥- مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف : **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، القاهرة ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، ١٩٧٩ .

٢٦- محمد اسماعيل البخارى : **صحيح البخارى** ، القاهرة ، دار الشعب ، د . ت .

٢٧- محمد رشيد رضا : **تفسير القرآن الحكيم المسمى تفسير المنار** ، القاهرة ،

الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٢ .

٢٨- محمد الطاهر بن عاشور : **تفسير التحرير والتنوير** ، تونس ، الدار التوفيقية، ١٩٨٤ .

٢٩- محمد عبد الله دراز : **دستور الأخلاق فى القرآن** ، تعريب وتحقيق عبد الصبور شاهين ، مراجعة السيد محمد بدوى ، الكويت ، دار البحوث العلمية ، ١٩٨٧ .

٣٠- محمد عيسى رفقى : **نحو أسلمة علم النفس** ، المسلم المعاصر ، ع ٤٦ ، س ١٢ ، ربيع الثانى ، ١٤٠٦ هـ .

٣١- مسلم بن حجاج بن مسلم القشيرى : **صحيح مسلم بشرح النووى** ، القاهرة ، المطبعة المصرية ، ١٩٢٣ م .